



البعد الحضاري في الخطاب الديني المسجدي نحو مجتمعات أكثر إنسانية

Civilizational dimension of religious discourse towards more humane societies

د. محي الدين عباسي

Dr. Moheddine Abessi

جامعة الزيتونة، (تونس)

abbessimoheddine@yahoo.fr

تاريخ القبول: 2023/12/01م

تاريخ الإرسال: 2023/04/03م

ملخص

يُجَلِّي هذا البحث أهمية البعد الحضاري في الخطاب الديني في المساجد - الذي قد يغفل عن تناوله والحديث عنه القائلون بهذا الخطاب - ويبرز مقومات الحوار الحضاري، ويصّر بساحة الإسلام وقيمته الزكية، ويقدم مضامين ومعلومات يستأنس بها مقدم الخطاب المسجدي، مما يؤكد الدور الإرشادي والتوجيهي والتوعوي للمسجد من خلال المواعظ والخطب الجمعية والدروس والمحاضرات المسجدية، المساهمة في التوعية بقيمة الحوار الحضاري والتقارب والتعاون والسلم العالمي والإنساني، وخاصة في عصرنا الراهن في ظل التطور العلمي والتقني والتكنولوجي والاتصالي... الذي ساهم في تقريب المسافات بين الشعوب، وسهل التلاقي والتعامل فيما بينهم، في مختلف المجالات والميادين، واعتمدنا لتوضيح ذلك على المنهج الاستقرائي في تجميع النصوص، والمنهج الوصفي والتحليلي لإبراز أهمية البعد الحضاري في الخطاب الديني المسجدي، وللإجابة عن إشكالية مدى أهمية هذا البعد، وقيمة التقارب بين الشعوب، ومقومات الحوار الحضاري في اتجاه تحقيق التعايش والتعاون والسلم العالمي والإنساني.

الكلمات المفتاحية: الحضارة، الخطاب، الدين، الإنسان، المسجد.

Abstract

This research illustrates the importance of the cultural dimension in religious discourse in mosques - which may not be addressed and talked about by those who speak of it - and highlights the elements of cultural dialogue. and provides content and information to be used by the applicant of the proscribed speech which emphasizes the guiding, guiding and awareness-raising role of the mosque through sermons, assembly speeches, lessons and lectures; Contributing to awareness of the value of civilizational dialogue, rapprochement, cooperation and global and humanitarian peace and especially in our present era in light of scientific, technical, technological and communication development... which has contributed to bringing people closer together and facilitating convergence and interaction, In various areas and fields, we have adopted to illustrate this on the inductive approach to compiling texts, The descriptive and analytical approach to highlighting the importance of the cultural dimension in religious discourse. and to answer the problem of how important this dimension is, and the value of rapprochement among peoples coexistence, cooperation and global and humanitarian peace.

Keywords: civilization, discourse, religion, man, mosque.

مقدمة:

من الأبعاد المهمة التي قد يغفل عن تناولها القائلون بالخطاب الديني في المساجد في خطبهم ودروسهم ومحاضراتهم ومواعظهم البعد الحضاري، وتبرز أهمية هذا البعد في أنه يعبر عن هواجس البشرية قاطبة، ولا يعبر عن مذهب أو فئة أو حزب أو قطر أو بلد أو قومية بعينها، فيتجاوز بذلك المحلي والوطني والإقليمي إلى العالمي والكوني والإنساني، فضلا عن التذكير بمقومات الحوار الحضاري ليتمكن مقدم الخطاب المسجدي من الاستئناس بهذه المضامين المعرفية، المستمدة من قيم الإسلام الزكية ومبادئه النبيلة، والمستندة إلى القرآن والسنة والتراث الزكي، للتنوعية بضرورة التقارب بين الشعوب والحضارات والثقافات والأديان، لتكون العلاقات أكثر إنسانية، و النأي عن العنف والصدام والصراع، لأنّ عدم توفر الاستقرار والأمن، والسلام داخليا أو خارجيا، يوقع الخلل والاضطراب، وينشر الصراع والتصادم والتطرف والإرهاب، والعنف والحروب، والخراب والدمار.

ومن هذا المنطلق فإن البعد الحضاري من أؤكد ما ينبغي الاهتمام به من طرف مقدمي الخطاب الديني المسجدي وخاصة في عصرنا الحاضر، و ضرورة إبراز عالمية الشريعة الإسلامية المعبرة عن أشواق كل العالم، فيحس كل إنسان مهما كان انتماءه أو جنسه أو عقيدته أو موقعه بأنه ضمن المشروع الإسلامي، كما يشعر المسلم بأن المسجد مكان يُوحّد ولا يفرّق، وفضاء يستجيب للحاجات الحضارية والانتظارات البشرية انطلاقاً من المنظومة القيمية السامية التي يدعو إليها الإسلام، ومنها قيم الأخوة والتعاون والتكافل والتآزر والمحبة والوحدة بين الناس، بقطع النظر عن الجنس واللون والبلد أو القطر أو الموقع، والمساهمة في تحقيق التقارب المجتمعي والتفاعل الحضاري، والحوار الثقافي، والتعايش الديني، والتعارف الإنساني.

المبحث الأول: المصطلح والدلالات:

تقتضي المنهجية العلمية ضبط مصطلحات البحث لتحديد المفاهيم والمعاني وتبعاً لذلك سنضبط تحديداً لعدد من مصطلحات البحث كالآتي:

المطلب الأول: مفهوم الحضارة: الحضرة عكس البادية وفي الحديث: «لا يبيع حاضر لباد»¹، فالبادي الساكن بالبادية، والحاضر الساكن في المدن، والحضارة هي التمدن والتطور والرقي العلمي والأدبي والاجتماعي.²

والحضارة جملة المفاهيم والعقائد والقيم والمبادئ والتقاليد والأفكار والنظم والقوانين،³ وكل ما يكتسبه الإنسان في المجتمع الذي يعيش فيه وجملة هذا النشاط

1 - البخاري (محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي)، 1422 هـ، صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط: 1، كتاب الشروط، باب ما لا يجوز من الشروط في النكاح، رقم الحديث: 2723، 3 / 191.

2 - عمر (أحمد مختار)، وآخرون، 1429 هـ / 2008 م، معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، عالم الكتب القاهرة، ط: 1، 1 / 323.

3 - الرحيم (عبد الحسين مهدي)، 1995، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، الجامعة المفتوحة طرابلس، ص: 29.

البشري يصوغ نمطا للسلوك، وأسلوبا للحياة، ومنهجاً للتفكير¹، يتميز بها مجتمع عن غيره من المجتمعات.²

والحضارة في الإسلام جملة المفاهيم والمبادئ المستمدة من الدين الإسلامي في مختلف ميادين حياة الإنسان.

المطلب الثاني: مفهوم الخطاب:

ورد في معجم ألفاظ القرآن الكريم (معنى خاطب): «خاطبه مخاطبةً وخطاباً: تكلم معه، والخطب: الشأن الذي تقع فيه المخاطبة»³، والخطاب والمخاطبة: «مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبةً وخطاباً، وهما يتخاطبان، وفصل الخطاب: أن يفصل بين الحق والباطل ويميز بين الحكم وضده»⁴.

والخطاب هو المنطوق به «موجه إلى الغير بغرض إفهامه مقصوداً مخصوصاً»⁵ والذي يصلح أن يكون كلاماً، «يحمل معنى محدداً نطقاً أو كتابة لإقناع المتلقي والتأثير فيه في الزمان والمكان الذي تم فيه»⁶، وهو الكلام الموجه من المخاطب

1- التوحيدي (عبد العزيز بن عثمان)، 1436هـ/2015م، خصائص الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، ط: 2/ص: 11.

2- الحميدان (عبد اللطيف بن محمد بن عبد العزيز)، 2017، سنن قيام الحضارات وسقوطها: قديماً وحديثاً بأراء ابن خلدون، العبيكان، الرياض، ص: 11-12.

3 - مجمع اللغة العربية: معجم ألفاظ القرآن الكريم، 1996، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مج: 2، (مادة خطب).

4 - ابن منظور، 2004، لسان العرب، طبعة دار الجليل ودار لسان العرب، بيروت، مج: 2 / ص: 856.

5 - طه (عبد الرحمان)، 1998، اللسان والميزان، طبعة المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص: 215.

6 - الطيار (أحمد عبدالله)، 2005، تأويل الخطاب الديني في الفكر الحدائلي الجديد، حولية كلية أصول الدين، القاهرة، العدد: 22، مج: 3 / ص: 12.

(بكسر الطاء) الذي هو الأصل والمبدأ في مشروع التّواصل وفي إنتاج الخطاب، وذلك بهدف التأثير في المخاطب (بفتح الطاء) الذي يمثل عنصراً حيوياً في منظومة التّواصل، في حين أنّ التلقّي هو ممارسة مفتوحة بين المتكلّم والمتلقّي.

المطلب الثالث: مفهوم الدين: هو مبادئ وقيم وتعاليم ليس من صنع البشر لأن مصدر تعاليمه إلهي، وفهمنا للدين ومعرفتنا به هو الذي ينبغي أن يتغير ويتجدد، ولا يجوز اختزاله في بعض صور الدين، أو في فئة معينة من المتدينين، وتنقية ما قيل فيه من أباطيل والنأي به عن كل توظيف طائفي أو تجاذب سياسي أو خلاف مذهبي... والدين الذي نقصده في بحثنا هو الإسلام، «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» [آل عمران 19]، وهو الانقياد والخضوع لله، بفعل أو امره، وترك نواهيه، يقال: أسلم أي خضع وانقاد.

المطلب الرابع: مفهوم الخطاب الديني: هو كلام موجّه إلى الناس يراد به الإقناع والتبصير بحقائق الدين وتركيز العقيدة الصحيحة في قلوبهم، وتزويدهم بمعرفة ثابتة تقوي إيمانهم وتهديهم إلى سواء السبيل وتعليم الناس ما ينفعهم، وهو اجتهاد بشري يتسم بالنسبية لأنه يعبر عن اجتهادات فردية وهو ليس الدين لأن الخطاب الديني أفهام مرتبطة بواقع وزمان وظرف معين، وفهم النص ليس ديناً باعتبار أنّ هذا الفهم قابل للخطأ والصواب، فالخطاب المتعصب أو المتطرّف مثلاً لا يعبر عن قيم الإسلام ومبادئه النبيلة، والخطاب الديني المقصود في هذا البحث هو الخطاب الديني في المساجد والمتمثّل في المحاضرات والدّروس والمواظع والخطب الجمعيّة...

المبحث الثاني: البعد الحضاري في الخطاب المسجدي:

يعبر البعد الحضاري في الخطاب المسجدي عن هواجس البشريّة قاطبة، وليس تعبيراً عن حزب أو مذهب أو قومية بعينها، فيتجاوز الحزبيّة والمذهبيّة والقطريّة والقوميّة... حيث يوحد الخطاب المسجدي بين كلّ النّاس، فلا فرق بينهم في الجنس واللّون والبلد أو القطر أو الموقع، وهنا يتجلّى مدى قدرة القائمين على الخطاب المسجدي على تكريس هذا البعد الهام، لتجسيم قيم الكرامة والحرية والاختلاف والتّعارف التي لها طابع حضاري وكوني وإنساني، التي يدعو إليها الإسلام.

ويستدل مقدم الخطاب المسجدي بنماذج قيمة كثيرة منها إشعار الإنسان بأنه مكرم مهما كان جنسه أو لونه أو حضارته أو لغته أو دينه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء 70]، والتذكير بأهمية احترام الإنسان، والنهي عن إذايته أو انتهاك حرمة جسده حيًا أو ميتًا، قال عليه الصلاة والسلام: «كسر عظم الميت ككسر عظم الحي»¹ والاستدلال بما رواه الشيخان أن النبي صلى الله عليه وسلم مروا عليه بجنائز، فقام لها واقفا، إكراما للميت، فقال له الصحابة: «يا رسول الله، إنها جنازة يهودي!» يريدون أنها لليهودي أي أنها ليست جنازة مسلم، فقال عليه السلام: «أليست نفسا؟!»² وبيان نماذج من سلوك اليهود تجاه النبي صلى الله عليه وسلم وما تعرض إليه من إساءات، وكيف تعامل بالبر والقسط معهم.

كما يحذر مقدم الخطاب المسجدي من العداوات بين الناس وبينه إلى أنها ليست دائمة، فقد يتصالح الناس وتتغير القلوب من العداوة إلى المودة، ومن الكره إلى المحبة، ومن المنع إلى العطاء برحمة من الله وفضله، ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. [المتحنة 7]، ويصر كذلك بنهي الإسلام عن العداوة وعن الإسراف فيها، مستدلا بما علمه النبي عليه الصلاة والسلام وغرسه في عقول وضمائر المسلمين، والنهي في الآن نفسه عن موالة المشركين امتثالا لقول الله تعالى: ﴿إِنَّا بَرَاءُ مِنْكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾. [المتحنة 4].

1 - أخرجه أحمد في المسند (24686) عن عائشة، وقال مخرجه: رجاله ثقات رجال الشيخين محمد بن عبد الرحمن الأنصاري هو ابن سعد بن زرارة، وأبو داود في (3207) ورواه ابن ماجه (1616) وابن حبان (3167) كلهم في الجناز.

2 - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز (1312)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنائز (961)، وأحمد في المسند (23842)، والنسائي، كتاب الجنائز (1921)، عن قيس بن سعد وسهل بن حنيف.

والدعوة إلى عدم الإكراه في الدين «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ». [البقرة 256]، والتذكير بأن الإسلام دين تسامح لا تعصب، محبة لا كراهية، وحوار لا صدام، ورفق لا عنف، ورحمة لا قسوة، ووحدة لا فرقة، وسلام وانفتاح، وتعاون وتعارف، وتقارب وتعايش، ودين تقدم ورقي حضاري.

إن من أشد الأمور خطراً، التعصب الذي يهدد المجتمعات بالتمزق، ويفضي إلى الاقتتال والحروب بينها، والأمن نعمة «فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ». [قريش 3-4]، نعمة امتنان الله وحمايته من شر الجوع والخوف الذين يصيبان الإنسان بسبب صنيعه «فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ». [النحل 112].

ويذكر المخاطب المخاطب في المسجد بأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم ومعاملته لأهل الكتاب يهودا أو نصارى، أخذا وعطاء، وإحسانا وكرما، ولينا ورحمة، وزيارة في المرض، ويستدل بنفحات من هدي المصطفى عليه السلام ومنها أن «وفد نجران وهم من النصارى لما قدموا على الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة، دخلوا عليه في مسجده بعد العصر، فكانت صلاتهم، فقاموا يصلون، فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعوه»، فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم»¹.

ويبصر بقيمة الحوار المساهم في تمتين العلاقات وتحقيق السلم المجتمعي بين المسلمين أو مع غيرهم من المخالفين لهم في الدين، امثالاً لقول الله تعالى: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ». [النحل 125]، «وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِنَّا وَإِهْنَأُ وَإِهْنَأُ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ». [العنكبوت 46]، «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ

1 - ابن هشام (عبد الملك)، 1995، سيرة ابن هشام، ط:1، دار الصحابة للتراث بطنطا، 573/1.

بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ». [آل عمران 64]،

وتوضيح قيمة التعدد أو التنوع، باعتبارهما سنة كونية، فيتعلم المتلقي للخطاب المسجدي بالتعددية العرقية: «وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا». [الحجرات 13]، والتعددية اللغوية: «وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ». [الروم 22]، والتعددية الدينية: «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ». [هود 117-118]، فيستفيد المستمع لهذا الخطاب بأن التعدد رحمة، وأن هناك تنوعا في الفكر والتصور أو في المذهب والدين، وفي الاجتهاد داخل الدين الواحد، لأن النص الديني قابل للتفسير والتأويل، وللتعدد النظر، «ولو شاء أن يجمع الناس على رأي واحد وعلى مذهب واحد، لجعل الدين كله قائم على نصوص قطعية الثبوت وقطعية الدلالة، فلا مجال فيها لاختلاف»¹. فالاختلاف واقع بمشيئة الله: «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ». [يونس 99]، «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ جَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ». [الأنعام 35]، والله وحده هو الذي سيحاسب المختلفين في دياناتهم ومذاهبهم واتجاهاتهم الدينية والأخلاقية. «وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ». [الحج 68-69].

ويبصر مُلقي الخطاب المسجدي المتلقي لهذا الخطاب بأهمية التعايش بسلام بين المسلمين فيما بينهم أو مع غيرهم المخالفين لهم في العقيدة، أيا كان جنسهم أو لغتهم أو لونه، أو ثقافتهم أو حضارتهم أو دينهم، لأنهم أسرة واحدة، ينتمون من ناحية الخلق إلى خالق واحد، ومن ناحية النسب إلى أب واحد، ويستدل بحقائق إسلامية وهي كثيرة ومنها ما أعلنه النبي عليه السلام في حجة الوداع: «يا أيها الناس إن ربكم

1 - القرضاوي (يوسف)، من فقه الدولة في الإسلام، فصل: تعدد الأحزاب في ظل الدولة الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، ص: 147-161.

واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم»،¹ وامثالها لما دعا إليه القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾. [النساء 1]، فولفت الانتباه بالتأكيد على أن الله خلق الأمم والشعوب للتعارف والتعاون، والتقارب والتعايش، وليس للتصارع والتصادم، أوللتحارب والتقاتل.

إن مسؤولية العلماء والأئمة والوعاظ والدعاة في المساجد مهم في تحقيق الوحدة بين المذاهب ووحدة الصف بين أفراد المجتمع، ونبد الشحناء والتفرقة بين أبناء الدين الواحد، وخاصة في واقعنا اليوم، ويكون ذلك باعتماد الحكمة والموعظة الحسنة والكلمة الطيبة التي تصدر عن القائمين على الخطاب المسجدي التي تحمل مضامين الوحدة، ونبد العنف في سعي دؤوب لتحقيق السلم الأهلي والمجتمعي والإنساني.

والمساهمة في نشر التراحم بين الناس وهي رحمة جامعة للناس والمخلوقات كافة الناس ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾. [الأنبياء 107]، والتبصير بقيمة الرحمة وأثرها الكبير في المجتمع، والتذكير بما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام لما اشتد تعذيب كفار قريش بالرسول عليه السلام وبعد أن رجع من الطائف، وحين جاءه ملك الجبال وقال: «يا محمد إن أردت أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت»، فقال عليه السلام «عسى الله أن يخرج من أصلابهم من يقيم هذا الدين».² ومنها أيضا أن النبي عليه السلام عندما لما فتح مكة لم ينتقم لنفسه رغم شدة إذابة الكفار له وإخراجه من مكة ولكنه قال لهم عليه الصلاة والسلام: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»³.

1 - أخرجه أحمد في المسند (23489)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح، عن من سمع النبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح (586/3).

2 - أخرجه أبو داود في سننه، 3 / 170، رقم: 3050، دار القلم، بيروت، 1987م.

3 - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير باب غزو النساء مع الرجال، رقم: 1795.

فأثر الخطاب الديني المسجدي بارز في إرساء ثقافة التعارف والتعايش والتسامح بين المسلمين فيما بينهم أوفي علاقتهم مع غيرهم من الملل والنحل الأخرى، وفاعل في إضفاء القيم الاجتماعية والثقافية من أجل تحقيق التكافل والترّاحم والانفتاح على الآخر، واجتناب كافة حالات التصادم والتنافر مادام الجميع يعيشون على أرض واحدة، والرسالات السّاوية تحثّ على الوحدة بين الناس كافة.

كما يتجلى أيضا دور مقدمي الخطاب المسجدي في تعزيز ثقافة التسامح ونبذ الأحقاد فيما بين الناس، مذكّرين بقول الله تعالى: «وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ» [الحشر 10]، وأهمية ذلك في تمتين العلاقات، كما أنّ التسامح مع غير المسلمين له أثره في إبراز سماحة الإسلام وتحقيق التعاون مع غير المسلمين، فيتعلّم المسلم أن يكون متسامحا مع غيره المخالف له في الدين والمذهب، ولا يجبره بالقوة مثلما يقوم به المتعصّبون ضدّ مخالفينهم في عقائدهم.

إن الخطاب المسجدي المتشدّد والمتعصّب، له آثار سلبية على الفرد والمجتمع حيث يذكّي النّعرات الجهويّة ويثير الفتنة «وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ». [الأنفال 25]، «وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ». [البقرة 191]، «وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ». [البقرة 217]، والفتنة عامل هدم وتخريب، وتنازع وتقاتل، و فوضى وحرب يمثل عاملا من عوامل انتشار الأفكار المنحرفة والمتطرّفة التي تؤثر سلبا على المجتمع، أما الخطاب المسجدي المعتدل والمتوازن، فيبصر بالقيم الإسلامية السّميحة ومبادئه الزكية، ومنها الوسطيّة وترسيخ ثقافة التعايش والإيمان بالتعدّد والاختلاف واحترام الغير ونبذ الغلوّ والتعصّب الديني والمذهبي المؤدّي إلى التطرّف وله آثاره الإيجابية على الأفراد والجماعات.

المطلب الأول: دور الخطاب الديني المسجدي في التوعية بأهمية التقارب بين

الشعوب:

إن دور الخطاب المسجدي مهم في تجلية اتّصاف الرّسالة المحمديّة بالعموم بمعنى أنّها موجّهة للناس جميعا، يفيد قول الله تعالى: «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا». [الأعراف 158]، جعلها تسعى إلى تحقيق التقارب بين الناس جميعا

وتعمل على نشر قيم التعاون والتسامح والحوار بينهم، يقول الشيخ عبد العزيز الثعالبي¹: « وبناء على ذلك ضمن مقتضيات ذلك الدين الموجه إلى عموم البشر أن تسعى إلى تحقيق التقارب بين الإنسان وجلب المنفعة إلى الجميع »،² فينبغي حينئذ أن تُطبق قيم الإسلام الزكية ومبادئه السمحة المتمثلة في حبّ الغير والحوار والتسامح والتضامن والتعاون وحب الغير حتى ولو كان مختلف معنا في اللغة والحضارة والدين...

والتوعية بحسن معاملة المسلمين لمخالفهم امثالاً لقول الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾. [الممتحنة 28]، وحرية الاعتقاد، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾. [البقرة 256]، ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾. [الكافرون 6]. والتذكير بأن الإسلام اعترف بكل أنبياء ورسل بني إسرائيل بغاية « التحليّ بالتسامح إلى أقصى حدّ ممكن تجاه متبعي الأديان الكتابية ».³ ودعا إلى احترام عقائد الآخرين والتحاور معهم وقبولهم وتجنب التعصب والمناقشة ومجادلة المخالفين من أهل الكتاب، على أن تكون المجادلة أساسها العقل، وعمادها الإقناع، وسندها الحسن، ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِهْنَأْ وَإِهْنَأْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾. [العنكبوت 46]، وهذا النهج هو أساس التسامح وقبول الرأي المخالف بنفس مطمئن وصدر رحب ولسان صادق فتحسن معاملته ويتهدّب إحساسه ويتعد عن الحق والبغض

1 - عبد العزيز الثعالبي (1874/1944)، زعيم تونسي سياسي وديني، من القليلين الذين زواجوا بين السياسي والديني، وبين المحلي والإقليمي والعالمي في عملهم، للتخلص من الاحتلال وظلمه والرفعة بالمجتمع والرقى به في الوقت ذاته، فقد كان في تونس قطبا ومناضلا بارزا ضد الاحتلال الفرنسي، فهو كما يوصف بأنه داعية الإصلاح والتجديد والمقاومة ما جعله عرضة للنفي والترحال في سبيل دعوته ومبادئه.

2 - الثعالبي (عبد العزيز)، 1985، روح التحرر في القرآن، دار الغرب الإسلامي، ص: 158.

3 - المصدر نفسه، الثعالبي (عبد العزيز)، روح التحرر في القرآن، نفس الصفحة.

لمن خالفه في الدين، فيتأسس بذلك مبدأ إبداء الرأي والتشاور والاختلاف في الرأي، ويتركز بذلك منهج الاعتدال والوسطية والحوار والتسامح والسلوك الحضاري وأثر ذلك على الفرد والمجتمع، يقول رفاعه الطهطاوي،¹ « فمخاطبة الأعراب لا سيّما إذا كانوا من أولي الألباب تجلب للأوطان المنافع العمومية »،² ويقول خير الدين التونسي³ « وشأن الناقد البصير تمييز الحقّ بعبارة النظر في الشيء المعروف عليه قولاً وجده كان أو فعلاً، فإن وجده صواباً قبله واتبعه سواء كان صاحبه من أهل الحق أو من غيرهم، فليس بالرجال يُعرف الحقّ بل بالحقّ يُعرف الرجال »،⁴ ويضيف قوله: « وكلّ يتمسك بديانة وإن كان يرى غيره ضالاً في ديانته، قد لا يمنعه من الاقتداء به، يقتدون بغيرهم في كل ما يرونه حسناً من أعماله ».⁵

ودور الخطاب المسجدي مهم في التذكير بإباحة الإسلام الزواج من نساء أهل الكتاب وطعامهم وذبائهم لقوله جلّ ذكره: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾. [المائدة 5].

ومن مظاهر ذلك أيضاً تسمية أهل الكتاب بأهل الذمة ومعنى الذمة ذمة الله ورعايته وعهده، وهذا من قمة التسامح مع أهل الكتاب وقد ورد عن الرسول عليه السلام التوصية بهم في قوله « من آذى ذمياً فأنا خصمه ومن كنت خصمه خصمته

1 - رفاعه الطهطاوي من قادة النهضة العلمية في مصر، وُلد في عهد محمد علي باشا، في 15 أكتوبر 1801، بمدينة طهطا إحدى مدن محافظة سوهاج بصعيد مصر، توفي سنة: 1873م.

2 - رفاعه الطهطاوي، 2010، الأعمال الكاملة، دار الشروق، القاهرة، 1/ 328.

3 - خير الدين التونسي أو خير الدين باشا (1820-1890) هو أحد رموز الإصلاح بالبلاد التونسية.

4 - التونسي (خير الدين)، 2012، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، دار الكتاب المصري، القاهرة، ص: 90.

5 - المصدر نفسه، والصفحة نفسه.

يوم القيامة»¹. وقوله: «من قتل معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله لم يرح رائحة الجنة وأن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عاما»،² وأيضا تشييع النبي عليه السلام جنائز أهل الكتاب وعبادة مرضاهم وإكرامهم وحضور ولائهم، كما أنه عليه الصلاة وفرش عباءته لوفد نصارى نجران عندما قاموا بزيارته، ودعاهم إلى الجلوس عليها.

ولم يهمل فقهاؤنا حقوق أهل الذمة، ووجوب المعاملة الحسنة لهم إذ قال الشهابي القرافي³ «إن عقد الذمة يوجب لهم حقوقا علينا لأنهم في جوارنا في حضارتنا وفي ذمة الله تعالى وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ودين الإسلام فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو نيممة في عرض أحدهم أو أي نوع من أنواع الأذية أو أعان على ذلك فقد ضيع ذمة الله تعالى، وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم، وذمة دين الله»⁴.

كما يذكر مقدم الخطاب المسجدي بأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في كثير من بلاد المسلمين إلى وقتنا هذا يمثلون شهادة قاطعة على هذا التسامح، حيث تعايش المسلمون مع شعوب مختلفة من مجوس ونصاري ويهود وغيرهم كانوا تحت سلطان فأحسنوا إليهم، وتعلموا منهم وعلموهم، ولم يكرهوهم على دخول الإسلام فحقق المسلمون درجة من التسامح لم يعرفها المخالفون لهم في الدين، يقول الثعالبي: «تلك المحاكم الحديثة العهد كانت تنظر في القضايا والنزاعات الناشئة بين الأهالي والفتاحين»⁵، ويحدد الشيخ الثعالبي السور والآيات التي نجد فيها ذكرا لاحترام

1 - أخرجه أبو داود في سننه، حديث رقم: 2654، دار القلم، بيروت، 1987م.

2 - أخرجه البيهقي في سننه، تحقيق محمد عبد القادر دار الباز، مكة المكرمة، 1414هـ/1990م، 34/8.

3 - هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي العلاء إدريس بن عبد الرحمان بن عبد الله بن يلين الصنهاجي المصري، ولد سنة 626 للهجرة المتوفى سنة 684هـ، كان ملما بعلوم شتى كالفقه والأصول واللغة والأدب وعلم المناظرة والطبيعات وله معرفة بالتفسير.

4 - القرافي الشهاب (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي)، 1421هـ/2001، أنوار البروق في أنواء الفروق، دار السلام، 3/910.

5 - الثعالبي (عبد العزيز)، روح التحرر في القرآن، ص: 95.

الديانات الأخرى وحرية المعتقدات واحترام جميع الآراء بست وثلاثين سورة وخمس وعشرين آية،¹ كما أن رد فعل الرسول عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة، أدل على ذلك حيث قام على باب الكعبة يخطب قائلاً: «يا معشر قريش ما ترون إني فاعل بكم، قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء».²

إن دور الدعاة العلماء والدعاة والوعاظ والمدرسين والمحاضرين والخطباء في المساجد مهم في توضيح دعوة الإسلام إلى التعايش السلمي والتقارب العالمي والتعارف الحضاري والتعارف الإنساني، فيؤثرون فيها ويستفيدون منها، مع الحفاظ التوازن والاعتدال والوسطية، وتجنب الغلو والتعصب والتطرف، والمشاركة في صوغ الحداثة وإنهاء الحضارة.

المطلب الثاني: دور الخطاب الديني المسجدي في التوعية بمقومات الحوار الحضاري:

يعد الحوار من أبرز القيم السامية في الإسلام نتيجة ما يفرزه من محبة وألفة وتعاون في المجتمع فهو وسيلة تحاطب بين الفرد ومجتمعه والمجتمعات الأخرى، ومن هذا المنطلق يبصر مقدم الخطاب الديني المسجدي بالدعوة إلى تطبيق هذا المبدأ في العلاقات الإنسانية، استناداً لقوله جل ذكره: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾. [النحل 125]،

كما يذكر بنماذج من أخلاق النبي عليه السلام في معاملاته مع قومه ومع غير المسلمين في مكة والمدينة وفي غيرها من المناطق، وكيف أن مدينة يثرب شهدت أول حوار للأديان السماوية الثلاثة اليهودية والنصرانية والإسلام، عندما خاطب الرسول عليه السلام اليهود والنصارى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا

1 - مصدر سابق، الثعالبي (عبد العزيز)، روح التحرر في القرآن، ص: 92.

2 - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير باب غزو النساء مع الرجال، رقم: 1795.

فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» [آل عمران 64]، وكيف حاور الإسلام المخاطبين من بني الإنسان كافة في مسائل متعددة تتعلق بواجب الوجود رب العالمين وبأصل الوجود والموجودات التي لا يحصيها عد ولا يحيط بها وصف بشرا وكائنات حيوانية ونباتية وفضاء وكواكب وجبالا وانهارا وبحارا وماء وهواء وغيرها مما لا نعلم، وتحاور المسلمون فيما بينهم فامتألت مجالسهم وكتبهم بأخبار السابقين في الكلام والفقه والأدب كما تحاوروا مع أهل الكتاب وغيرهم كالمجوس ولم يتخلوا غالبا عن المجادلة بالحسنى.

وللقائم بالخطاب المسجدي دور في التبصير بمقومات الحوار الحضاري ويستفيد من آيات القرآن والأحاديث النبوية الشريفة ومن التراث الزكي.. لتوعية رواد المسجد سواء في الدروس والمحاضرات والمواعظ والخطب الجمعية المقدمة في المسجد ومن هذه المقومات:

الفرع الأول: العالمية: إن دعوة الإسلام عالمية للبشرية جمعاء، بمعنى أمها موحية إلى كل الناس وليس لفئة دون أخرى، وبحكم أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه الله إلى جميع الأمم والشعوب لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، [الأنبياء 107]، وقال الله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾. [سبا 28]، فقد جاء « خطاب النبي عليه الصلاة والسلام، ومن سار على نهجه، مستهدفا بالضرورة الإنسان أينما كان، بصرف النظر عن المفارقات المختلفة التي اعتاد المتزمتون والمنغلقون الاستناد إليها للتخصيص والتحديد والتضييق ومن ثم للتفرقة والتشتيت، وبالتالي لعزل المسلم عن بيئته الكونية، وفضاء عصره الغني بالمستجدات والمتغيرات»¹.

ومعلوم الخطاب الإسلامي يكون إما موجها إلى المسلمين، وذلك «بدعوتهم إلى الالتزام بأحكام الإسلام وعدم الحيد عنها وتطبيقها في الحياة، والآيات كثيرة التي

1 - المزوغي (حسين)، سنة 23، جمادى الأولى، جمادى الثانية 23/ أوت، 21 أكتوبر 1998 م، خصائص الخطاب الديني الحديث، مجلة الهداية، عدد 3، ص: 78.

جاءت تنطق بالأحكام الكلية والجزئية التي تخاطب المسلمين، وغالبا ما يكون الخطاب بأحب ما يسمعه المسلمون « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا »، أو العالم جميعا، وشرع الجهاد في سبيل الله لإزالة الحواجز المادية، التي تحول دون وصول الدعوة إلى عقول وقلوب الناس¹، و لتجتاز الدعوة الحدود وصولا إلى عقول الناس وقلوبهم أينما كانوا.

الفرع الثاني: الإنسانية: جاء الدين الإسلامي في سياق الأديان السماوية متوجا وخاتما لها، والنبى محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الرسل والنبين، وتجسيما لمبدأ الإنسانية بادر الرسول عليه السلام في المدينة بالمؤاخاة بين المهاجرين من أهل مكة وبين الأنصار من أهل المدينة، فتسابق الأنصار وتقاسموا أموالهم ودورهم مع إخوانهم المهاجرين، وقدموهم على أنفسهم لكسب رضا الله، وتجسيما للتعاون والتكافل والتآزر الذي دعا إليه الإسلام، وقد امتدح الله هذا النهج ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. [الحشر 19].

وشملت هذه النزعة الإنسانية جميع الناس امتثالا لقول الله سبحانه تعالى: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا» [الحجرات 13]، فقد نهج الصحابة هدي النبى عليه السلام، ومنه أن أهل عبد الله بن عمر بن العاص ذبحوا شاة فقال لهم: « هل أهديتم لجارنا اليهودي ؟ » قالوا لا قال:

1 - أبو عطايا (أشرف) وأبو زينة (يحيى عبدهادي)، تطوير الخطاب الديني كأحد التحديات التربوية المعاصرة، ص : 690، بحث مقدّم في مؤتمر " الإسلام والتحديات المعاصرة "، المنعقد بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية، في الفترة: 2007/4/3/2م.

« ابعثوا إليه منها فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه »¹.

الفرع الثالث: التسامح: حث الإسلام على نشر التسامح بين الناس وترسيخه لدى النشء، وقد تعرض القرآن لهذا المبدأ في عدة مواقف يمكن أن نخص الذكر منها العقيدة والحث على التعارف بين الشعوب والزواج ففي العقيدة مثلاً ترك الله لأهل الكتاب الحرية في الاستجابة إلى نداء الحق والعقل، يقول الله تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾. [آل عمران 20].

وعندما اضطر المسلمون إلى خوض معارك مختلفة على جبهات متعددة وهم يتفاعلون حضارياً بمبادئه السامية وقيمه السمحة مع شتى الشعوب والأمم في العالم سالموا من سالمهم ونازلوا من نازلهم وفي كل الأحوال التزموا بتعاليمه وتوجيهاته لأنه دين احترام الأديان والمعتقدات والثقافات دين التفاعل الحضاري البناء.

الفرع الرابع: المحبة: إنَّ التوعية بأهمية محبة الإنسان لأخيه الإنسان والتفاعل معه إيجابياً والحوار معه في كنف الأمن والسلم السلام بعيداً عن الحروب والصدام والصراع والعنف وخاصة في عصرنا في عصرنا الحاضر يعد من أعظم الضروريات في حياة البشر، لأن جميع أنواع الأمن مرهونة الحصول بالتفاعل الإيجابي بين المجتمعات والحضارات والثقافات والأديان والملل والنحل، لذا استوجب شرعاً وعقلاً الاهتمام بتعزيز ذلك لما له من آثار إيجابية على الإنسانية منظومة الأمن العام في العالم، بل هو ركيزة أساسية في تحقيق الاستقرار الكوني والإنساني، لأن المحبة بين الناس تمثل مناخاً اجتماعياً سليماً للاستقرار والإبداع والرفق والازدهار، في حين أن الصراع والصدام يوفر مناخاً من التقاتل والحروب كما يوضحه ما وقع على مر التاريخ وأثر ذلك على الدول الأفراد والمجتمعات، لذا تتأكد الحاجة إلى سلم حضاري يحقق الأمن المجتمعي والإنساني.

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الوصية بالجار، حديث رقم : 6014، دار طوق النجاة، ط: 1، 1422هـ.

الفرع الخامس: التعارف والتعايش: حث الإسلام على نشر مبدأ التعارف بين القبائل والشعوب يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾. [الحجرات 13]، أما في مسألة الزواج فقد أباح الإسلام الزواج بالكتابي، يقول عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَحْلَلْ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. [المائدة: 5].

وقد طبق الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الخيار في حياته فتزوج مارية القبطية وصفية بنت حبي بن اخطب كما عامل المسلمون أهل الذمة معاملة عادلة، من ذلك ما كتبه عمر بن الخطاب لأهل إيليا¹ عهدها تضمن حماية أنفسهم وأموالهم والسماح لهم بممارسة معتقداتهم بكل حرية حيث تضمن هذا العهد ما يلي: « هذا ما أعطى عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار احد منهم»² كما أعطى عمر أمانا مثل هذا أهل اللد³.

وقد نهج الحكام المسلمون هذا النهج في حسن معاملة أهل الذمة، فقد أمر المعتضد العباسي « أن يرّدّ تركة من مات من أهل الذمة ولم يخلّف وارثا على أهل ملته»⁴ استنادا إلى ما أفتى به القاضيان يوسف بن يعقوب وعبد الحميد بن عبد العزيز

1- إيليا اسم مدينة بيت المقدس قيل معناه بيت الله، أنظر معجم البلدان لياقوت الحمودي دار صادر بيروت، ط: 2، 1995، 1/ 293.

2- الطبري (محمد بن جرير)، تاريخ الأمم والملوك، 3 / 209.

3- مصدر نفسه: ص: 209.

4 - أمين (أحمد)، ظهر الإسلام ج: 1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط: 2، ص: 18-82.

من أن السنة جرت بأن أهل كل ملة يورثون من هو منهم إذا لم يكن له وارث من ذي رحمه.¹

الفرع السادس: الحرية: وهي مبدأ راسخ في الإسلام تشمل جميع المجالات العقدية والفكرية.. وقاعدة «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ». [البقرة 256]، جسدها المسلمون في علاقتهم بأهل الكتاب وبكل الشعوب والحضارات والأديان المختلفة فعاشوا تحت سلطان المسلمين في عدل وأمان وحرية وحماية من كل ظلم أو إفساد ومكنت بعضهم من تولي مناصب مهمة أو مقربين من أصحاب النفوذ والسلطة في كثير من البلاد العربية والإسلامية.

الخاتمة

إن الحوار بين الحضارات والثقافات والأديان، مطلب رئيسي لتحقيق التعايش الإنساني، والركيزة الأساسية لاستقرارها واطمئنانها، وبه يتحقق لهم التعايش والتعارف في أسنى صورته وأجلى معانيه، وإذا نشب بينهم تصادم وصراع فقد يهدد كيانهم ويقضي على مقومات بقائهم.

لذلك فإن دور مقدمي الخطاب المسجدي جد مهم في التوعية بذلك والتبصير بأن الناس جميعاً إخوة بقطع النظر عن اللون والجنس واللغة والدين، والتذكير بأن الإسلام كان له السبق في ذلك عن طريق الحث على التعارف والتآخي والمعاملة الحسنة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وهي أسس هامة في تحقيق السلام بمفهومه الشامل.

إن قضية الحوار الحضاري قضية عالمية، تُعنى به كافة دول العالم، من أجل تعزيز التعايش والتعارف بين الناس جميعاً، رغم الدعوات والنداءات الداعية إلى التقاتل والتصادم والصراع.

وإن دور المسجد والقائمين على الخطاب الديني فيه اليوم أساسي في نشر البعد الحضاري الذي يقرب بين الشعوب قوام ذلك قيم المحبة والأخوة والتعاون

1 - مصدر نفسه، ص: 81-82.

والتكافل والتآزر والتسامح والسلم والسلام التعايش والتعارف والوسطية والاعتدال ونبذ التشدد والتعصب والتطرف والتصدي للأفكار الضالة والرؤى المنحرفة بالبيان والتوضيح والتبصير وتعزيز الحوار الحضاري والثقافي والديني بين البشرية جمعاء.

وما يمكن التوصل إليه في ختام هذا البحث جملة من النتائج من أهمها:

- أهمية التواصل والتعايش والتعارف والسلم والسلام بين الحضارات والثقافات والأديان، والنأي عن الصراع والتصادم، كما دعا إلى ذلك الإسلام وخاصة في عصرنا الحاضر.

- قيمة إبراز الصورة السمحة والحقيقية للدين الإسلامي الحنيف، وخاصة في علاقة المسلمين مع غيرهم من غير المسلمين.

- أهمية البعد الحضاري في الخطاب المسجدي، ومعرفة المعوقات التي تحول دون تحقيق الحوار الإنساني والمتمثلة في الانحراف الفكري الداعي إلى التصادم والصراع في العالم، والسلوك السيئ في المعاملة ومن مظاهرها الغلظة والقسوة والتشدد والعنف، وإغلاق منافذ الحوار والتعصب للرأي، واستعمال العنف المعنوي والمادي والسيطرة والاستعلاء، والقصور في الخطاب الديني المسجدي في توجيه الشباب إلى الحوار والتفاعل مع الآخر، وتحصينهم ضد الأفكار المخالفة الداعية إلى الانغلاق والتصادم والتقاتل، المؤدي إلى فقدان الأمن والاستقرار المجتمعي والكوني الإنساني.

أن يكون اختلاف الإنسان مع أخيه الإنسان اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، حيث أن رأي الإنسان يمكن أن يكون مصيبا، كما يمكن أن يكون مخطئا، ولا خاب من استشار، وإنّ احترام عقائد الآخرين، والتحاور معهم، وقبولهم هو أساس التسامح والأخلاق الكريمة والسلوك الحضاري القويم، فيتدرب الإنسان بذلك على قبول الرأي المخالف بنفس مطمئنة، وصدر رحب، ولسان صادق، فيتهدب إحساسه، فيُحسّن معاملة النَّاس مسلما كان أو غير مسلم، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾، [البقرة، 256]

وعليه وفي ضوء ما أسفر عنه البحث يمكن تقديم التوصيات التالية:

- التذكير بالقيم الزكية والمبادئ النبيلة التي حثّ عليها الإسلام، وألا تكون شعاراً يُرفع فقط، بل فعلاً منجزاً وسلوكاً يُعاین في علاقات الناس مع بعضهم البعض، وأن تحل فكرة الحوار والتعايش بدل الصراع والتصادم

- نشر الخطب والمحاضرات والدروس التي تُعنى بقضايا التفاعل الحضاري من خلال الوسائط الإلكترونية والصوتية ودعم مكتبة المسجد وتزويدها بالمراجع والمصادر المرتبطة بحوار الحضارات والثقافات والأديان باعتبار أن هذه المكتبات تمثل رافداً بحثياً ومعلوماتياً مهماً.

- ضرورة معاضدة دور المسجد من قبل الأسرة والمدرسة والمعهد والجامعة وكل مؤسسات المجتمع مثل المؤسسات الاجتماعية والتربوية والإعلام في التوعية بقيمة الحوار والتفاعل والتعارف والتعايش الحضاري.

- التربية على الحوار المختلف معنا، وهي تربية لا تلغي سُنّة التنوع والحق في التباير والاختلاف.. وإخصاب الحوار بين الثقافات والحضارات، لأنّ عالمنا هو عالم الدار الواحدة، التي ترتبط فيها أمم الأرض جميعاً بأربطة تزداد وثوقاً يوماً بعد يوم، والهدف من ذلك تحقيق غايتين الأولى تعزيز مناعة كل حضارة وصيانة مرجعيتها، وثانياً مدّ جسور التعايش والتواصل والتعاون والتسامح والحوار بين الحضارات وفق منهج يوحد ولا يفرق ويدمج ولا يقصي ويكفل تطبيق المشترك الإنساني¹، لأنّها تربية ترتكن إلى الموائمة بين الثابت والمتحول، والروح والمادة، والهوية والحداثة.

1 - المشترك الإنساني هو ما يقتسمه الناس بينهم على اختلاف أعراقهم وثقافتهم ودياناتهم وحضاراتهم، سواء في الوطن الواحد، أو في أوطان متعدّدة، على مستوى العالم أو على مستوى الكون ككل، والحديث عن مشترك إنساني هو اعتراف ضمني وتسليم مبدئي، بضرورة التعدّدية والتنوع والاختلاف، واحترام الكرامة الآدميّة، ودائرة القيم والمبادئ الإنسانية، التي تعزّز الحرية والعدل والإخاء الإنساني، وحسن الجوار والمواطنة العالميّة ودائرة أمن الإنسان والسّلم العالمي، ومناهضة الظلم والحروب العدائيّة، ودائرة الاعتراف المتبادل والحوار والتعاون المشترك ودائرة حفظ البيئة الكونيّة، باعتبار أنّ الناس يسكنون كوكباً واحداً ويستظلّون تحت شمس واحدة، ويتنفّسون هواءً

- الأخذ بناصية العلم وامتلاك القدرة على إنتاج المعرفة العلمية والتصرف في تطبيقاتها التكنولوجية، والانفتاح على اكتشافات الغرب وفتوحاته في زمن لم يعد فيه هذا الانفتاح خياراً بل أضحي ضرورة يملئها واقع العولمة، وبعد أن أصبح «العالم قد بات اليوم وحدة واحدة وأنه لا سبيل إلى تجنب الاحتكاك بأتباع الديانات الأخرى والثقافات المغايرة، وأن من المحتّم قبول النتائج العلمية المتفق عليها ثم وضعها في موضعها السليم حتى لا يضطروا إلى عزلة أو تكفير»¹ وأن تنهل ثقافتنا من الثقافات الأخرى، وهذا ما تمثله العرب في عصور ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، فاعتمدوا الثقافات المختلفة فكانت غنيّة بالتجارب المتنوعة وبالعقلانية، وبقدر الأخذ كان العطاء والإضافة.

- تصحيح مسار الحوار بين الحضارات والأديان والثقافات، وفق منهج يوحد ولا يفرق، ويدفع باتجاه حوار حقيقي وأصيل يحقق التسامح بين الناس جميعاً وتواصياً بالحق، لا تطغى فيه المصالح أو الإيديولوجيات على القيم المشتركة، وبعيدا عن كل تعصب واستعلاء وانغلاق وعنف.

- إنّ ما يقع اليوم وفي هذا الطرف الذي يتعرض فيه المسلمون إلى حملات ضارية من طرف بعض الجهات العنصرية المتطرفة، لا يزيدهم إلا إصراراً على تجسيم ما أعلنه الإسلام بأن أمر العقيدة لا مجال فيه للعنف والتسلط والإكراه وأن الهداية بيد الله وحده.

- إن الحوار والتسامح بين الحضارات بات من قضايا العصر الملحة، لذا يجب الاهتمام به وبجميع عناصره، والسعي بتقوية الحس الحضاري لدى الإنسان أينما كان، ونشر ثقافة الانفتاح على الغير دون ذوبان وفي إطار الأمن والأمان والسلام،

واحدا. يُنظر إلى فلسفة المشترك الإنساني ودورها في احتواء الصّدام الحضاري، 29 أكتوبر 2018، على الرّابط : <https://www.sasapost.com/opinion/about-human-values/>.

1 - أمين (حسين أحمد)، 1992، دليل المسلم الحزين إلى مقتضى السلوك في القرن العشرين، دار سعاد الصباح، الكويت، ص: 93.

وتوفير المناخ المناسب لتحقيق ذلك سواء في فضاء المساجد أو خارجها في الفضاءات الإعلامية والاجتماعية والثقافية والافتراضية..

المصادر والمراجع

• الكتب:

1. أمين (أحمد)، ظهر الإسلام، ج: 1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط: 2.
2. أمين (حسين أحمد)، 1992، دليل المسلم الحزين إلى مقتضى السلوك في القرن العشرين، دار سعاد الصباح، الكويت.
3. البخاري (محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي)، 1422 هـ، صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط: 1، كتاب الشروط، باب ما لا يجوز من الشروط في النكاح، رقم: 2723، ج: 3.
4. البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين)، 1414 هـ/1990 م، سنن البيهقي تحقيق محمد عبد القادر دار الباز، مكة المكرمة.
5. التوحيدي (عبد العزيز بن عثمان)، 1436 هـ/2015 م، خصائص الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، ط: 2.
6. التونسي (خير الدين)، 2012، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، دار الكتاب المصري، القاهرة.
7. الثعالبي (عبد العزيز)، 1985، روح التحرر في القرآن، دار الغرب الإسلامي.
8. الحميدان (عبد اللطيف بن محمد بن عبد العزيز)، 2017، سنن قيام الحضارات وسقوطها: قديماً وحديثاً بأراء ابن خلدون، العبيكان، الرياض.
9. ابن حنبل (أحمد)، 1416/1995، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط: 1، دار الحديث، القاهرة.
10. أبو داود (سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير)، 1987، سنن أبي داود، دار القلم، بيروت، ج: 3.
11. الرحيم (عبد الحسين مهدي)، 1995، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، الجامعة المفتوحة طرابلس.
12. رفاعة رافع الطهطاوي، 2010، الأعمال الكاملة، دار الشروق، القاهرة، ج: 1.
13. الطبري (محمد بن جرير)، تاريخ الأمم والملوك، ج: 3.
14. طه (عبد الرحمن)، 1998، اللسان والميزان، طبعة المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

15. عمر (أحمد مختار)، وآخرون، 1429 هـ / 2008م، معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، عالم الكتب القاهرة، ط: 1، ج: 1.
 16. القرافي الشهاب (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي)، أنوار البروق في أنواء الفروق، دار السلام، 1421هـ/2001م، ج: 3.
 17. القرضاوي (يوسف)، من فقه الدولة في الإسلام، دار الشروق، 1419هـ/1999م، ج: 2.
 18. اللغة العربية: معجم ألفاظ القرآن الكريم، 1996، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مج: 2، (مادة خطب).
 19. ابن ماجه (أبو عبدالله محمد بن زيد)، 2009، سنن ابن ماجه، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط: 1.
 20. مسلم (أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري)، 1423هـ/2002م، صحيح مسلم، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط: 1.
 21. ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، (ت: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان ج: 4.
 22. ابن منظور، (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، (ت: 711هـ)، لسان العرب، طبعة دار الجيل ودار لسان العرب، بيروت، مج: 2.
- المجلات:
1. أبو عطايا (أشرف) وأبو زينة (يحيى عبدهادي)، تطوير الخطاب الديني كأحد التحديات التربوية المعاصرة، ص: 687، بحث مقدّم في مؤتمر "الإسلام والتحديات المعاصرة"، المنعقد بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية، في الفترة: 2007/4/3/2م.
 2. الطيار (أحمد عبدالله)، 2005، تأويل الخطاب الديني في الفكر الحداثي الجديد، حولية كلية 4 - أصول الدين القاهرة، العدد: 22، مج: 3.
 3. المزوغي (حسين)، سنة 23، جمادى الأولى، جمادى الثانية / 23 أوت، 21 أكتوبر 1998م خصائص الخطاب الديني الحديث، مجلة الهداية، عدد 3.